الباب الأول

نبذة عن علم السيرة

- مدلول لفظ السيرة.
- العلاقة بين السيرة النبوية والسُّنَّة.
- أهمية السيرة النبوية وفوائدها.
- تاريخ علم السيرة ومراحل تطوره.
- مصادر السيرة النبوية.
- كيف نتعامل مع السيرة النبوية.

الباب الأول

نبذة عن علم السيرة

مدلول لفظ السيرة

لغة:

السيرة مشتقة من السير ، أي الذهاب، سار يسير سيراً ومسيراً وسياراً. والسيرة: السنة والطريقة والهيئة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ** ﴾ [طه : ٢١] .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية:

أي حالها التي كانت تعرف بها قبل ذلك. وقال الأمام النسفي: أي سنعيدها إلى طريقتها الأولى. ومن خلال الأقوال السابقة يمكن تعريف السيرة لغوياً بأنها: تتبع أحوال شخص ما، ومعرفة طريقته، وهيئته، ورسم صورة صادقة ومفصلة، لجميع شئون حياته في ماضيه وحاضره.

اصطلاحاً:

تطلق السيرة في اصطلاح علماء الإسلام على كل ما يتعلق بحياة النَّبي الكريم ﷺ من ميلاده إلى وفاته، وما يتصل بذلك من دلائل ومعجزات قبل البعثة أو بعدها.

العلاقة بين السيرة النبوية والسُّنة

علم السيرة هو معرفة كل ما يتصل برسول الله ﷺ من قول أو فعل أو صفة، وما يتصل بحياته من ميلاده إلى وفاته.

أما " السُّنَّة "، فقد عرفها علماء مصطلح الحديث بتعريفات عديدة منها؛ ما أضيف إلى النَّبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها. وعلى ذلك فإن بين السيرة والسُّنَّة النبوية عموم وخصوص وجهي؛ فيجتمعان في أشياء، وينفرد كل منهما عن الآخر بأشياء. فيجتمعان مثلاً في بيان صفات رسول الله ﷺ ودلائل نبوَّته وأحداث حياته، وما شابه ذلك. وتنفرد السُّنَّة النبوية بأحاديث الأحكام والأقوال التي لا تتعلق بأحداث معينة، كالأحاديث، في المعاملات والبيوع والفضائل والطلاق والنكاح والرجعة واللعان ونحو ذلك.

وتنفرد السيرة بتواريخ الأحداث، ومواقعها، وشهودها، والحديث عن الإرهاصات التي سبقت مولد رسول الله ﷺ، وأحداث مولده ﷺ، والحديث عن خدمه وفرسه، وما شابه ذلك.

أهمية السيرة النبوية وفوائدها

الهدف من دراسة السيرة النبوية، أن يتصور المسلم حقيقة الإسلام في مجموعها، متجسدة في حياة رسول الله ﷺ كتطبيق عملي. وليس الغرض من دراسة السيرة الوقوف على الوقائع التاريخية، ولا سرد القصص والأحداث. ومن أهم فوائد دراسة السيرة النبوية ما يلي:

[١] فهم شخصية رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [فصلت : ٦] .

إن عظمة رسول الله ﷺ جاءت من كونه ﷺ بشراً رسولاً، مؤيداً من قبل خالق الكون، وليست لأنه شخص عبقري حاد الذكاء، استطاع بذكائه أن يتبوأ هذه المكانة العظيمة في التاريخ الإنساني، كما يحاول المستشرقون وغيرهم تصوير ذلك.

[٢] حُب رسول الله ﷺ: السيرة النبوية ودراستها تزكي الخُلُق وتكشف لنا جوانب العظمة والكمال في شخص رسول الله ﷺ، فنملأ أنفسنا وقلوبنا بحب رسول الله ﷺ ونقدمه على أنفسنا وأهلينا، وهذا هو معنى قوله ﷺ: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**".

[٣] الاقتداء برسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

السيرة النبوية تساعدنا على الإقتداء برسول الله ﷺ في كل شأن من شئون الحياة وخاصة في الصبر على الأذى، والمعاناة من أجل إبلاغ الحق، لهؤلاء الذين يضعون أيديهم على أعينهم، فسيرته أمن وأمان في الدنيا والآخرة.

[٤] **فهم كتاب الله تعالى:** السيرة النبوية تساعد على فهم كتاب الله تعالى، نظراً لأن كثيراً من حوادث السيرة تكشف أسباب نزول الآيات، ومقاصدها التربوية.

[٥] **تنمية الثقافة الإسلامية الصحيحة:** السيرة النبوية تعين على فهم وتجميع قدر كبير جداً من الثقافة والمعرفة الإسلامية الصحيحة، في العقيدة والأحكام والأخلاق، فسيرة رسول الله ﷺ صورة مجسدة لمبادئ الإسلام وأحكامه.

[٦] **بناء الشخصية الإسلامية:** دراسة السيرة تبعث في النفس قوة عظيمة، تغري باعتناق الحق والوفاء له، وتملأ النفوس يقيناً بنصر الله وأملاً في علو الحق وزهوق الباطل. فالأمة الإسلامية في حاجة ماسة لأن تتعرف على أسباب النصر كي تكتسبها وتسعى لها، وأيضاً على أسباب الهزيمة كي تتفاداها.

[٧] **توثيق الأخوة الإسلامية:** السيرة النبوية تنمي الإيمان وتكشف لنا عن قوة إيمان صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وحبهم للتضحية والبذل، أملاً في إعلاء كلمة الحق وإرضاء الله عز وجل.

[٨] **بناء الأسرة والمجتمع:** دراسة السيرة النبوية تكشف لنا الأسس السليمة لبناء الأسرة، التي هي وحدة بناء المجتمع وتقدمه وازدهاره ورخائه. فتكشف لنا المثل الكامل لما يجب أن تكون عليه الأسرة المسلمة التي تكون البيئة الصالحة، فينهض المرء إلى تقويم نفسه، وإصلاح شأنه، حتى يكون قريباً من سُنَّة رسول الله ﷺ في معاشه ومعاده، وحربه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته.

[٩] **تقييم العملية التربوية والتعليمية:** تعتبر السيرة نموذج عملي حي لمنهج تربوي تعليمي يوضح طرق التعليم، والتربية، والتوجيه التي تناسب كل الفئات والطبقات بما في ذلك النشأ والشباب والعجائز.

فقد كان رسول الله ﷺ في سيرته معلماً ناصحاً، ومربياً فاضلاً، سلك الطرق الصالحة للتربية والتعليم، وعالج الأمور بحكمة بالغة، وساس أمته برفق واقتدار.

[١٠] **كشف حقيقة الدنيا:** السيرة النبوية تكشف لنا عن سر الحياة ودناوة الدنيا. وتوضح لنا حقيقة، لو سلكها المجتمع لزالت وانقشعت عنه الأحقاد والظلم والصفات السيئة، ألا وهى أن الدنيا ما هى إلا طريقاً يُسْلَكُ إلى الآخرة.

تاريخ علم السيرة ومراحل تطوره

علم السيرة من أقدم العلوم التي اهتم بها المسلمون، وألفوا فيها، واشتغلوا بها، بل أنها تشكل الركيزة الأساسية لحركة التاريخ الإسلامي والإنساني. ولقد كانت كتابة السُّنَّة النبوية أسبق من كتابة السيرة النبوية. فلقد بدأت السُّنَّة وبدأت كتابتها في حياة الرسول الكريم ﷺ بإذن أو بأمر من رسول الله ﷺ وذلك بعد أن اطمأن إلى أن الصحابة، قد أدركوا واتنبهوا للفارق بين الإسلوب القرآني المعجز، والحديث النبوي البليغ، فلن يقعوا في لبس بينهما [١] . أما كتابة حياة رسول الله ﷺ ومغازية بصورة عامة، فقد جاء متأخراً عن البدء بكتابة السُّنَّة، وإن كان الصحابة يهتمون بنقل سيرته ومغازيه شفاهة.

[١] السيرة النبوية في حياته ﷺ :

بدأ الإهتمام بعلم السيرة النبوية، عندما أيقن المسلمون أن سيرة رسول الله ﷺ وسُننه هما مفتاح الفهم لكتاب الله. فالسيرة النبوية هى النموذج التطبيقي العملي لمبادئ الدين، و قد أُمروا بالتأسي برسول الله ﷺ ، وسلوك منهجه. قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١)** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ومن ثم أخذ الصحابة رضوان الله عليهم يتتبعون أحواله ويقلدونه، ويتعرفون على منهجه ويتتبعونه، فإذا غاب عنهم شيء من سيرته، التمسوه عند من يظنون علمه به، كما حدث من النفر الذين أرادوا أن يعرفوا سيرة رسول الله ﷺ في عبادته، فذهبوا يسألون أزواجه عن ذلك.

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتاب القول المبين فى مناهج المحدثين من صـ٥٠-١ .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النَّبي ﷺ، يسألون عن عبادة النَّبي ﷺ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له، ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخير أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**"[١]. وغير ذلك الكثير من تتبع الصحابة رضوان الله عليهم، لأحواله ﷺ في أكله، وشربه، ونومه، وهيئته، وآدابه، وعبادته، وكل أحواله.

ولقد كان إخلاص الصحابة لله عز وجل، واستشعارهم المسئولية أمام الله تعالى، في نقل هذه السيرة لمن ورائهم، ولمن جاء بعدهم، وما حباهم الله به من صفاء الذهن، وقوة الذاكرة، ونضج الفكر، وقوة العزيمة، خير معين على حفظ هذه الأخبار والأحداث، غير أنهم لم يهتموا بكتابة شيء من ذلك، وكان كل إهتمامهم في هذا العصر بكتابة القرآن الكريم[٢]، وتدوين بعض الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ، التي ربما اشتملت على شيء من السيرة، ولكنها لم تكن سيرة محضة مرتبة.

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ٩ / ١٠٤ رقم ٥٠٦٣؛ مسلم في النكاح ٣ / ١٠٢٠ رقم ٥٠.

(٢) جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١-١٣هـ)، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ) نسخت منه ست نسخ، ووزعت على الأمصار.

[٢] السيرة النبوية في عهد الصحابة رضي الله عنهم :

في هذا العهد عظم الإهتمام بتعليم السيرة، والتعريف بالمغازى. فقد روى الخطيب البغدادى، في الجامع، عن زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعن أبيه وعن جده قال: كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن. وكذلك روى الخطيب عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كان أبي يعلمنا سرايا ومغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا، ويقول يا بنيَّ: هذه شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها (١) . وأخرج البخاري عن أبي إسحاق السبيعي قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم رضي الله عنه فقيل له: كم غزا النَّبي ﷺ من غزوه؟، قال: تسع عشرة. قيل فكم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشر. قيل فأيهم كانت أول؟ قال: العشير أو العسيرة" (٢) .

ولقد كان من الصحابة رضوان الله عليهم، من يحدث بمشاهده مع رسول الله ﷺ باعتبار أن ذلك عنوان فخر وشرف. فهذا زيد بن أرقم كما ذُكِرَ آنفا يذكر أنه حضر سبع عشرة غزوة، مع رسول الله ﷺ ، ولاشك أنه يحفظ أحداثها ويحكي لأصحابه وقائعها. وهذا البراء بن عازب يقول، غزوت مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة (٣). وعبد الله بن بريده بن الخطيب يحكي عن أبيه، أنه غزا مع رسول الله ست عشره غزوة (٤) . وسلمة بن الأكوع رضي الله عنه يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات، مرة علينا أبو بكر، ومرة أسامه، وفي رواية وغزوت مع ابن حارثه، استعمله علينا، وفي رواية ذكر خيبر والحديبية ويوم حنين ويوم القرد (٥) . ومع هذا لم يصلنا أن صحابياً كتب كتاباً في السيرة والمغازي.

---

(١) راجع سبل الهدى والرشاد ٦ / ٢٠ .

(٢) البخارى فى المغازى ٧ / ٢٧٩ رقم ٣٩٤٩؛ مسلم فى الجهاد والسير ٣ / ١٤٤٧ رقم ١٤٣، ١٤٤ .

(٣) البخارى فى المغازى ٧ / ١٥٣ رقم ٤٤٧٢ .

(٤) البخارى فى المغازى ٧ / ١٥٣ ومسلم فى الجهاد ٣ / ١٤٤٨ رقم ١٤٧ .

(٥) البخارى فى المغازى ٧ / ١٥٧ رقم ٤٢٧٠ ومسلم فى الجهاد ٣ / ١٤٤٨ رقم ١٤٨ .

[٣] السيرة النبوية في عهد التابعين:

كان التابعون هم أول من إهتم بكتابة السيرة النبوية، وكان ذلك على يد:

- عروة بن الزبير بن العوام (المتوفي ٩٢ هـ)، وقد اشتهر بأنه أول من صنف علم السيرة، فقد كانت له عنايه خاصة بهذا العلم.
- أبان بن عثمان بن عفان (المتوفي ١٠٥ هـ).
- وهب بن منبه (المتوفي ١١٠ هـ).
- شراحبيل بن سعد (المتوفي ١٢٣هـ).
- محمد بن مشلم بن شهاب الزهري (المتوفي ١٢٤ هـ).
- أبو بكر محمد بن عمر بن حزم (المتوفي ١٣٥ هـ).

وهؤلاء يعدون في مقدمة من اهتموا بكتابة السيرة النبوية بلا ريب، كما تعد كتاباتهم الخطوة الأولى في هذا العمل العلمي العظيم، فضلاً عن أن الكثير من أحداث السيرة مدون في كتاب الله تعالى وفي بطون كتب السُّنَّة التي تهتم بأقوال وأفعال رسول الله ﷺ خاصة ما يتعلق منها بالتشريع. غير أن جميع ما كتبه هؤلاء قد باد أو تلف مع الزمان، فلم يصل إلينا منه شيء، ولم يبق منه إلا بقايا متناثرة، روى بعضها الطبري ، ويقال أن بعضها الآخر، وهو جزء مما كتبه وهب ابن منبه، محفوظ في مدينة هايدلبرج بألمانيا [١] .

ثم جاء بعد هذه الطبقة، طبقة أخرى عاشت في العصر العباسى الأول، زاد اعتناؤها بالسيرة، ومن هؤلاء:

- **موسى بن عقبة** : (المتوفي ١٤١ هـ)، الذي ألَّف كتاب المغازي ، اعتبرها الإمام مالك بن أنس أصح المغازى، فقال: "عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى ابن عقبة، فإنه ثقة" .

---

(١) راجع فقه السيرة للبوطى ص١٨ .

وفي رواية عنه: "فإنها أصح المغازى، فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن، ولم يكثر كما أكثر غيره". وفي رواية من كان في كتاب موسى قد شهد بدراً، فقد شهدها ومن لم يكن فيه، لم يشهدها [١]. وقد نقل من المغازي لموسى بن عقبة، الطبرى، وابن سعد، والبيهقي وغيرهم.

✿ **معمر بن راشد الأزدي البصري:** (المتوفي ١٥٣ هـ)، الذي ألَّف كتابه المغازى، ولم يصلنا منه إلا ما نقله الواقدي عن عبد الرازق عنه وما نقله ابن سعد والطبري عنه.

✿ **محمد بن إسحاق:** (المتوفى ١٥٢ هـ)، وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن إسحاق يعد من أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك العهد، ولئن لم يصل إلينا كتابه "المغازى" بذاته، إلا أن أبا محمد بن عبد الملك المعروف بابن هشام (المتوفي ٢١٨ هـ) قد جاء من بعده، فروى لنا كتابه هذا مهذباً ومنقحاً، ولم يكن قد مضى على تأليف ابن إسحاق له أكثر من خمسين سنة. يقول ابن خلكان: وابن هشام هذا، هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ونقحها، وهى السيرة الموجودة بأيدي الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام [٢].

ثم كثر التأليف والتصنيف في السيرة واتخذ هذا التأليف أشكالاً متعددة منها:

✿ كتب مستقلة بالسيرة؛ كمغازي ابن إسحاق والواقدى، وعيون الأثر لابن سيد الناس والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر.

✿ كتب اعتنت بجمع جزء مستقل من السيرة؛مثل الشمائل المحمديه للترمذى،والأنوار في شمائل النَّبي المختار للبغوى،والشفا للقاضي عياض وغيرهم.

✿ ومن العلماء من ألف في دلائل النبوه؛ كأبي نعيم الأصفهاني والبيهقي في كتابيهما "دلائل النبوة".

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢٢ فى ترجمة موسى بن عقبة.

(٢) راجع وفيات الاعيان ١ / ٢٩٠.

❁ومنهم من ألف في الخصائص؛ كالسيوطي "الخصائص الكبرى".

❁ ومنهم من ألف في الطب النبوى؛ كابن القيم.

❁ومنهم من ألف في الأخلاق؛ كأبي الشيخ.

❁ ومنهم من جعل السيرة جزءاً من مؤلف كبير غير مستقل بالسيرة؛ كابن جرير في "تاريخ الأمم والملوك"، ومحمد بن سعد في "الطبقات الكبرى"، وابن كثير في "البداية والنهاية".

❁ ومنهم من صنف أبواباً من السيرة ضمن مصنفات حديثية كبرى؛ كما فعل بعض المحدثين في كتبهم كالإمام البخارى، حيث جعل أبواباً كثيرة ضمن صحيحه للسيرة مثل: المغازى، الجهاد، السير، بدء الوحى، علامات النبوة وغيرها، وكذلك صنف الإمام مسلم في صحيحه، فوضع كتاب المغازى، الجهاد، السير وغيرها.

[٤] المتأخرون وجمعهم للسيرة النبوية:

رأى المتأخرون أن الحاجة ماسة إلى دراسة السيرة النبوية، دراسة علمية تطبيقية، وذلك باستنباط الدروس والعبر والفوائد والأحكام، تؤخذ من السيرة مع ربط الأحداث، واستخلاص النتائج، بحيث تصبح السيرة برهاناً عملياً واضحاً على حقيقة الرسالة المحمدية تساعد على فهم الأحداث التي مرت بها، وبذلك تكون السيرة مادة للتطبيق اليومى، في حياة المسلم المعاصر، وعنواناً هادياً له في مختلف شئونه. وهذا مع المحافظة الكاملة على نصوص السيرة كما وردت في مصادرها الصحيحة.

ومن أهم الكتب ، اعتنت بهذا في عصرنا:

- دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي .
- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي .
- فقه السيرة للدكتور البوطي .
- المنهج الحركي للسيرة النبوية لمحمد منير الغضبان .
- المنهج التربوي للسيرة النبوية لمحمد منير الغضبان .
- الأساس في السُّنَّة النبوية وفقهها "قسم السيرة" للشيخ سعيد حوى .
- دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل .
- الرحيق المختوم لصفى الدين المباركفوري .

وينبغي أن ننوه هنا أن بعض الكتاب المعاصرين، تأثروا بطريقة التفكير الغربي والمستشرقين في الكتابة عن السيرة النبوية، وهى طريقة تستبعد الأساس الحقيقي الذي ينبغي أن تُفهم عليه شخصية رسول الله ﷺ، وهو الوحى الإلهى. فالأصل في عظمة رسول الله ﷺ أنه كان نبياً مرسلاً، ومن العبث أن نتحدث عن كمال رسول الله ﷺ النفسي والعقلي والخلقي والروحي، من غير أن نرد ذلك إلى أصله الأصيل، وهو اتصاله بالسماء، وتلقيه عن الله سبحانه وتعالى. أما انكار وجود معجزات، مادية، حسية، بدعوى عدم حاجة النبوة إليها، فأمر غريب، مخالف للحقائق الثابتة، بأدق الثبوت بينة ، إلا الرأى والهوى [١] .

---

(١) راجع كتاب دروس من السيرة النبوية للدكتور عبد الرحمن البر ص ٢٩، ٣٠ وفقه السيرة للبوطى ص ٢٥ بتصرف .

مصـــادر السيـــرة النبويـــة

أولاً: كتاب الله تعالى :

فهو المعتمد الأول في معرفة ملامح حياة رسول الله ﷺ والإطلاع على المراحل الإجمالية لسيرته الشريفة. وقد تناول القرآن الكريم أحداثاً كثيرة من أحداث السيرة، بل أن بعض سور القرآن سميت بوقائع وأحداث من وقائع السيرة وأحداثها؛ مثل سورة الأنفال والتوبة والحج والأحزاب ومحمد والحجرات والمجادلة والحشر والمدثر وعبس... وغيرها.

والباحث في طريقة عرض القرآن الكريم لأحداث السيرة النبوية،يجد أن القرآن لا يعرض للسيرة بالسرد، كشأن المؤرخين في الترتيب، وإنما يقص من الوقائع والأخبار ما هو جدير بالتسجيل والاعتبار، فربما أطال القرآن في الحديث عن نفوس الناس، وذكر بعض أقوالهم، في بعض الوقائع، من غير أن يورد شيئاً من الأحداث أصلاً. وربما أطال كذلك في التعليق، والتعقيب على بعض الحوادث، قاصداً إلى استخلاص العبر، واستنباط النتائج، وتزكية النفوس وحتى تكون هذه الوقائع والأحداث، زاد ممتد ومستمر، لا ينتهي بانتهاء الحديث، بل يبقى زخراً ودرساً للأمة وللإنسانية أبد الدهر.

ثانياً: كتب السُّنَّة النبوية :

وهي التي كتبها أئمة الحديث المعرفون بصدقهم،وأمانتهم،كالكتب الستة[١]، وسنن الدرامي، وموطأ الإمام مالك، والمسانيد [٢] ، وأقدم ما وصل إلينا مسند

(١) الكتب الستة : أي كتب الصحاح الستة وهي صحيح البخاري، مسلم، أبي داود، النسائي، الترمذي، ابن ماجة، وإذا قيل في الحديث رواه الستة، أو متفق عليه فالمراد أنه رواه هؤلاء جميعهم.

(٢) المسند : هو ما تُجمع فيه الأحاديث حسب رواتها،فيجمع ما رواه أبو بكر رضي الله عنه على حدة،وما رواه عمر رضي الله عنه على حدة، بصرف النظر عن موضوع الحديث.

الإمام أحمد، والمصنفات، والسُنن والجوامع والمعاجم وغيره. وأن كانت عناية هذه الكتب الأولى، تنصرف إلى أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله، من حيث أنها مصدر تشريع،لا من حيث كونها تاريخ يدون. ولذلك رُتِبَتْ أحاديث كثيرة ـ في هذه الكتب ـ على الأبواب الفقهية، ورُتِبَ بعضها على أسماء الصحابة، الذين رووا هذه الأحاديث، ولم يُراع فيها التتابع الزمني للأحداث.

ثالثاً: الرواة الذين اهتموا بسيرة رسول الله ﷺ وحياته عموماً :

كان في الصحابة الكثيرون ممن اهتموا بسيرة رسول الله ﷺ وحياته، بل ما من صحابي كان مع رسول الله ﷺ ، في مشهد من مشاهد سيرته، إلا ورواه لسائر الصحابة، ولمن بعده أكثر من مرة، ولكن دون أن يهتم واحد منهم في بادىء الأمر، بجمع هذه السيرة وتدوينها [١] .

رابعاً: كتب السيرة والمغازي :

وهى الكتب التي جمع أصحابها أحداث السيرة عامة، أو نوعاً منها خاصة، وسبق بيان ذلك؛ كسيرة ابن هشام، والروض الأنف، والسيرة النبوية للذهبى، والسيرة النبوية لابن كثير، ويلحق بذلك الكتب التي تناولت دلائل النبوة، والمناقب، والشمائل، والخصائص النبوية.

خامساً: كتب التاريخ والطبقات :

كالطبقات الكبرى لابن سعد، وكتاب تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى.

سادساً: كتب التفسير وأسباب النزول :

التي أعتنت بتفصيل الأحداث، ، ذكرها القرآن، واهتمت ببيان أسباب نزول الآيات، والظروف، والملابسات، ككتاب أسباب النزول للواحدى، وكتاب الدر المنثور للسيوطى.

---

(١) راجع فقه السيرة للبوطى صـ ١٩ بتصرف وزيادة.

كيف نتعامل مع السيرة النبوية

ينبغي على الباحث أن يعلم أن سيرة رسول الله ﷺ ليست مثل سير وتاريخ الأبطال والرحالة والعظماء،لإن تاريخ هؤلاء أنما يؤرخ آثارهم في الحياة، وتأثيرهم في واقع الناس، ذلك التأثير المُنبعث من عوامل نفسية وشخصية.

أما سيرة رسول الله ﷺ وتاريخه، فهو تاريخ من عمل المولى عز وجل، الظاهر والخفى، أجراه الله سبحانه وتعالى، على يد عبد رباني، ليس له من الأمر من شيء. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾.

[النجم :٣-٤].

فسيرته خلاصة كاملة لتجارب أعظم عقل فهم القرآن، وآيات الكون، وسُنن الإجتماع، وعلل النفوس، ومشكلات الحياة، على نور من ربه، بحيث يجد كل باحث ريَ ظمئه إلى ما يشهتي من ضروب الإصلاح في هذه السيرة.وعليه فعلى كل من يتعامل مع سيرة رسول الله ﷺ أن يضع نصب عينيه، الحقائق الآتية :

[١] فهم حقيقة السيرة النبوية، أن السيرة لا يجوز أن تدرس كما تدرس حقب التاريخ العادى، التي صنعتها يد البشر العادي أفرداً وجماعات وشعوباً، فهذه الحقبة من التاريخ صنعتها عوامل وخصائص ليست من مواهب الناس العادية، وأنما صنعها تقدير علوي رباني،وكل خصائص رسول الله ﷺ وخصائص الجيل الرباني الذي صحبه، كانت مواهب ربانية ومنحاً إلهية. وبهذه النظرة، يمكن أن ندرك لب العبرة، ومواطن الحقيقة من السيرة كلها.

[٢] فهم حقيقة العبودية في شخص رسول الله ﷺ ،تللك الحقيقة التي مدحه القرآن الكريم بها قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [الإسراء:١] ،

والتي كان رسول الله ﷺ يفتخر بها، ويدعو أمته إلى فهمه على ضوئها فيقول ﷺ : " **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله**" (١) .

وكانت هذه العبودية واضحة في وجدان رسول الله ﷺ وكيانه ومنطقه وحركته، لا تغيب عنه أبداً، بحيث بعثت هذه الحقيقة في نفسه، من المشاعر السامية، والمدارك اللطيفة ما يجعله على تمام الثقة، فلا يتضعضع عند اليأس، ويُعصم عند النصر من الخيلاء والعجب،وينزع به إلى التساوي مع الناس، فيرفض أن يُعظم كالملوك، ويأبى أن يُفضل على غيره من الأنبياء. وهكذا أقام قواعد سلوكه على أساس من هذه العبودية التي ينبغي أن نكون على ذكر منها، ونحن ندرس سيرته ﷺ .

[٣] استحضار معنى الرسالة ، ومعنى كونه رسول الله ، لنعلم أنه لم يكن ينبعث في أفعاله وأقواله من كونه بشراً عادياً، أو عبقرياً، بل من كونه بشراً رسولاً، قائماً بحق الرسالة في كافة أحيانه، فلا عمل، ولا قول، ولا حركة، إلا وهي صادرة عن هذا المعنى، ولهذا فهو أسوة في كل أحواله، مهما كانت خصوصيتها، وهو لا ينسب لنفسه فضلاً في شواغل أو كثر، بل ينسب الفضل كله لله، صاحب المنة بالرسالة، أما هو فليس له فيها إلا البلاغ.

[٤] إدراك حقيقة المزايا الخُلُقية والخَلْقية والعقلية التي حبا بها المولى عز وجل نبيه؛ من استقامة الطبع، ورجحان العقل، واعتدال الفطرة على منهج الحق، بحيث أصبح صورة عملية واضحة للمبادىء ، دعا إليها الإسلام، والأخلاق التي جاء بها القرآن. كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ، عندما سُئلت عن خلقه ﷺ فقالت: "**كان خُلُقه القرآن**" (٢) . فكان رسول الله ﷺ أفضل نماذج البشر

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء ٦ / ٤٧٨ رقم ٣٤٤٥ من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صلاة المسافرين ١ / ٥١٣ رقم ١٣٩ .

مجانسة للقرآن، وأصلحها قاطبة لتلقيه وتمثيله والتجاوب معه في السر والعلن. ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

فسيرة رسول الله ﷺ ينبغي أن تدرس في أطار هذه الحقائق الواضحة، حتى نفهم مواطن العبرة والإعجاز فيها [١] .

---

(١) راجع كتاب دروس من السيرة النبوية ، ص ٦٣ ـ ٦٥ .